الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر قال الفقير هذا الحديث معمول به في كل البلاد لان المؤمنين المصلين
طرا يذكرون الله بهذه الكلمات عقيب الصلوات المفروضات سرا وجهرا ولم ينكر
عليهم احد من علماء الدين فهذا من اوضح الدلائل على جواز الذكر جهرا وما روي عن
الامام الاعظم سراج الائمة ابي حنيفة رحمه الله ان الذكر الجهري مكروه وبدعة استدلالا
بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وبقوله تعالى واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال يدل على نفي الجهر فيهما فقد
قيل في جوابه ان الامام الاعظم لم يثبت استدلاله بهذه الآيات على اثبات البدعة
في الذكر الجهري لانه لا يعمل بمفهوم المخالفة ومفهوم المخالفة ان يثبت الحكم في المسكوت
عنه على خلاف ما ثبت في المنطوق وهو خلاف مذهبه والشافعيون يستدلون به عند
انعدام الشروط الخمسة وهي ان لا يظهر اولوية المسكوت عنه من المنطوق بالحكم الثابت
للمنطوق ولا مساواة المسكوت عنه المنطوق في الحكم الثابت للمنطوق ولا تخرج المنطوق
مخرج العادة ولا يكون المنطوق لسؤال او حادثة او لعلم المتكلم بان السامع يجهل هذا
الحكم المخصوص وانعدام النص المعارض وهنا منصوص ظاهرة في استحباب الدعاء بالجهر
اذ قال الله تعالى وايوب اذ نادى ربه والنداء دعاء بقرينة فاستجبنا وقال زكريا عليه السلام
اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له وغيرهما من الآيات
قال الجوهري النداء رفع الصوت يقال ناد نداء اذا صاح نعم قد يستعار النداء للفعل
القلبي ولا بد فيه من قرينة ولذا قال الله تعالى لزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ولو ثبت تمسكه لالله
بها فلعله رجع عنه كما رجع عن كثير من المسائل الفرعية ولو ثبت عدم رجوعه يجوز مخالفة
بعض

١٤٨

الشفوع

بعض المجتهدين لابي حنيفة في بعض المسائل نظرا الى الدليل وان المجتهد يخطئ ويصيب كما
قاله صاحباه في ثلثي المسائل والمعمول قولهما فيه توسعة للمسلمين كذا الحكم في هذا على ان الآية ليست
قاطعة في دلالتها على كون الجهر بدعة كيف وقد نقل قدوة المحققين وعمدة الحنفيين ابو حفص
النسفي في تفسيره المسمى بالتيسير عن ابن عباس قال المراد من قوله تعالى واذكر ربك في نفسك القراءة
في الصلوة ومعنى تضرعا جهرا باللسان ومعنى خيفة سرا بالقلب ومعنى دون الجهر من القول
لا جهرا مفرطا وهذا النقل يدل على ان ابا حنيفة لم يستدل بهذه الآية ويحتمل المراد من قوله بدعة أن يكون
بدعة حسنة كتعشير المصاحف ونقطها واعرابها وكون درج المنبر اكثر من ثلثة درجات اذ هو في
عهد النبي عليه السلام لم يكن فوق ثلث وكبناء المنارة للاذان والمنخل للدقيق والتراويح بالجماعة وغيرها
من البدعة الحسنة قال الفقير ان الآيات وروايات الاحاديث قد تعارضت في هذا الباب
بعضها يدل على استحباب ذكر الجهر وبعضها يدل على استحباب ذكر السر والاخفاء فلا بد لنا
الجمع بين الآيات والاخبار على طريقة العلماء وعلى طريقة العلماء في الجمع فقال النووي نقلا
عن الغزالي وغيره من العلماء ان الاسرار ابعد من الرياء فهو افضل في حق من يخاف من الرياء و
من لم يخف فالجهر ورفع الصوت افضل لان فايدته تتعدى الى غيره والنفع المتعدي افضل من اللازم
لانه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همته الى الفكر ويطرد النوم ويزيد في النشاط ويوقظ غيره من نايم او
غافل وينشط فاذا احضره من هذه النيات فالجهر افضل لتضاعف الاجر ويؤيد هذا الجمع حديث ابي
قتادة ان النبي عليه السلام لابي بكر مررت بك وانت تقرأ تخفض صوتك فقال ابو بكر اسمع من اناجي
فقال عليه السلام لعمر مررت بك وانت تقرأ وترفع صوتك فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان
فقال اخفض قليلا واما طريقة الصوفية في الجمع فان الذاكرين اذا كانوا مجتمعين على الذكر
في مجلس واحد فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع قوة شديدة تشبه الغزالي ذكر شخص